Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

على الوعي ؛ إذ تأتي حينئذ دفعة واحدة ، كالسيل الذي يشق مجراه بقوته . قاسراً كل ما يعترضه في هذا المجرى على الخضوع لسلطانه .

وإنما يتصور ـ ضرباً من التصور ـ أن يكون انتخاب اللفظ ذي الصوت الخاص دون آخر يمكن أن يدل ـ في الجملة ـ دلالته ، من صانع للبيت من الشعر أو الفقرة من النثر ، يقف منها موقف البناء والهندسة بكثير من وعيه إن لم نقل بكل وعيه ، مع قليل من الوجدان إن لم نقل مع فقد الوجدان .

وإلى التجاوب الصوتي الذي يقع على التجربة من الغيب ، يشير القرطاجني ، بعد سوقه وجوها من تحسين الكلام بتحسين الهيئات فيقول :

« ومنها أن تتناسب بعض صفاتها ، مثل أن تكون إحداها مشتقة من الأخرى مع تغاير المعنيين من جهة أو جهات ، أو تتماثل أوزان الكلم ، أو تتوازن مقاطعها. ومنها أن تكون كل كلمة قوية الطلب لما يليها من الكلمة أليق بها من كل ما يمكن أن يوضع موضعها . وقد تعدم هذه الصفات أو أكثرها من الكلمة وتكون مع ذلك متلائمة التأليف ، لا يدري من أين وقع فيها التلاؤم ، ولا كيف وقع ، ليس ذلك إلا لنسبة وتشاكل يعرض في التأليف ، لا يعبر عن حقيقته ولا يعلم ما كنهه ، إنما ذلك مثل ما يقع من بعض الألحان وبعض ، وبعض الأصباغ وبعض ، من النسبة والتشاكل ، ولا يدري من أين وقع »[1] .

ومعنى ذلك لا يتأتى إلا عن عمل خفي في العقل الباطن ، الذي يعمل ونحن في غفلة عنه ، فتتسق فيه الكيفيات اتساقاً يمكن الخيال من جذبها إلى اللسان أو القلم عند الإحساس بالمثير والحاجة إلى التعبير ، وإلا فمن أين تأتي للمرتجل المفاجَأ بموقفٍ مَا بلاغةُ خطبة قصيرة أو طويلة ، لو أعطيناها حقها من النقد التحليلي لوجدنا العجب العاجب الذي يفوق صنعة المتصنع في كثير من الأوقات ؟

---

(١) منهاج البلغاء ٢٢٣ .